مناجاة الليدي مكبث

صلاح نيازي
شاعر وكاتب

على غير العادة، فإنّ المناجاة الأولى في مسرحية مكبث تبادرنا بها الليدي مكبث ، وليس زوجها. تكتسب هذه المناجاة أهمية أخرى لأنها تساعدنا في فهم مناجاة مكبث نفسه، في المشهد الأخير (السابع) من الفصل الأوّل :

"إذا فُعلتْ الفعلةُ وانتهتْ، فمن الأفضل إذنْ
أنْ تُنجَزَ بسرعة. ليت الأغتيال
يصطاد كلّ التبعات، ويأتي
نجاحي بموته. ليت هذه الضربة
تكون ما سوف يكون وخاتمة كلّ شيء..."

المعروف، كما يقول Wolfgang Clemens "أن شيكسبير يهيّئ قرّاءه ومشاهديه على عدّة مستويات، لفهم مناجياته. ففي مكبث، حتى أكثر من التراجيديات الأخرى، فإنّ ما يقال في مشهد واحد يكمّل ما يقال في مشهد آخر ويربطه به. لذا من الصعب فحص أيّ مقطع على حدة، دون فقدان التداعيات Associationsالتي هي ضرورية للفهم التام" ، يقول أيضاً :"يخلق شيكسبير قبل كلّ مناجاة، سلسلة من التوقّعات والانطباعات المتناقضة، حاشداً أسئلة في أذهان القرّاء أو النظّارة" (ص ١٤٣)
حتى نقترب من فهم تلك التوقعات والانطباعات المتناقضة، لا بدّ أنْ نعود إلى مكبث نفسه، وإلى الباعث الذي دفعه إلى كتابة الرسالة إلى زوجته التي راحت تقرأها بصوت عالٍ في بداية المناجاة الاولى في أوّل ظهور لها على خشبة المسرح.
لِنبدأ من البداية.

كانت الساحرات يقفْن في طريق مكبث، وهو عائد من المعركة مؤزّراً بالنصر، وإلى جانبه القائد العسكري بانكو.
خاطبته الساحرة الأولى :"سلاماً مكبث! هنيئاً لك يا أمير "غلامس"!
وخاطبته الثانية :"سلاماً مكبث! هنيئاً لك يا أمير "كودر"!
وخاطبته الثالثة :"سلاماً مكبث! ستكون ملكاً فيما بعد".
أمّا بالنسبة لبانكو فقد تنبأتْ له الساحرة الأولى، بأنّه سيكون "أقلّ من مكبث وأعظم". وتنبأت له الثانية بأنه "ليس سعيداً جدّاً، مع ذلك أسعد من مكبث بكثير". وتنبأت الثالثة :"ستنجب ملوكاً ولو أنك لست منهم".
اللقب الأوّل الذي أعطته الساحرة الأولى لمكبث، أي يا أمير غلامس، شئ طبيعي، لأنه سيؤول إليه بعد وفاة والده. ولكن كيف يكون أمير "كودر"، وأمير كودر "ما يزال حيّاً ورجلاً متنعماً". احتار مكبث. احتار أكثر كيف سيكون ملكاً.
بهذه الوسيلة غرس شيكسبير، الوهمَ الأوّلَ القاتل في رأس مكبث، وسرعان ما تعاظم، لا سيّما وأن مكبث ما يزال في أتّون نشوة النصر. التوقيت الدقيق هذا عجّل في فوران الوهم، وراح يتجسّد وكأنّه يقين.
آتخذ الوهم ملامح اليقين أكثر حينما جاءه رسولان من الملك الذي أمرهما أن يخاطبا مكبث بأمير "كودر". صُعِق مكبث، فقال :"ما يزال أمير كودر حيّاً فلماذا تلبسونني ثياباً مستعارة؟"
أجابه الرسول :"الرجل الذي كان أمير كودر ما يزال يعيش/ إلاّ أنّ حياته محكومة بالموت/ وهو يستحقّ أن يفقدها/ ...فإنّ أعمال الخيانة التي اعترف بها وثبتتْ عليه قد أطاحت به".
لم تبقَ إلاّ النبوءة الثالثة. كيف سيكون ملكاً؟

⁂

رحّب الملك في قلعته، بعودة مكبث. أعلن الملك "للأبناء والأقرباء والنبلاء" أنه سيورث العرش الأسكتلندي بعده إلى آبنه الأكبر مالكولم الذي قال عنه :"نلقّبه من الآن أمير كمبرلاند". إذن هل فشلت نبوءة الساحرة، فلن يكون مكبث ملكاً؟ قال مكبث :

"- أمير كمبرلند! –هذه عقبة في طريقي
إما أن أعثر بها فأكبو، أو أثب فوقها
لأنها رابضة أمامي. أيتها النجوم إحجبي أنوارك!
لا تجعلي النور يرى رغباتي السود والدفينة،
دعي العين لا ترى ما تفعل اليد. ليقَعْ
ما تخشاه العين، ولا تراه، إلاّ بعد إنجازه"

في الأبيات أعلاه ظهرت بشكل أوّلي أهم ثيمات المسرحية. شبه مكبث طموحه بالحصان الجامح، وسيتطور الطموح إلى أشبه شيء بالتهوّر أو الطيش. بكلمات أوضح الطموح خطر. الثيمة الأخرى: الظلام الذي سيصبح تدريجياً أهم عنصر في بناء سايكولوجية المسرحية. الثيمة الثالثة ، هي محاولة ردم المسافة بين النيّة والتنفيذ، الثيمة الرابعة، وهي الأهمّ فنّياً، تفكيك الحواسّ لدرجة استقلالها عن بعضها من جهة، وحتى تقاتلها فيما بينها من جهة أخرى.
بعد ذلك مباشرة، يقرّر الملك الذهاب إلى قصر مكبث، وينتهي المشهد الرابع.
يبدأ المشهد الخامس، بدخول الليدي مكبث، وهي تقرأ بصوت عالٍ رسالة زوجها مكبث. (وهي بداية مناجاتها الأولى):

(تدخل الليدي مكبث وهي تقرأ رسالة)
قابلْنني في يوم النصر، وعلمتُ من أفضل
لمصادر، أنهنّ يمتلكْنَ من المعرفة أكثر مما يمتلك
البشر. وحين اشتعلتُ رغبةً في استجوابِهنّ أكثر،
جعلْنَ أنفسهنّ هواء وذبْنَ فيه. وبينما وقفتُ
منصعقا من عجب ما سمعت، فإذا برسولين يأتيان
من الملك يحييانني بلقب أمير كودر، وهو اللقب
الذي حييْنني به أخوات القدر من قبلُ، وأشرْنَ إلى
الزمن القادم فقلْنَ :"سلاماً، ستكونُ ملكاً"!
تصوّرتُ أنّ هذه أنباء سارّة أخبرك بها، يا أعزّ
شريكة لي في العظمة، حتى لا يفوتك الفرح
المناسب، لو كنتِ جاهلةً بالعظمة الموعودة بها.
فكّري في الأمر سرّاً، ووداعاً".

أمير غلامس أنتَ، وكودر، وستكون
ما أنت موعود. –إلاّ أنني أخشى من جبلّتك
إنها ممتلئة تماماً بحليب الطيبة الإنسانية،
فلن تنتهز أقصر السبل. ولو أنك تريدُ أن تكون عظيماً
وأنّك لاتخلو من طموح، إلاّ أنّك
تخلو من الخبث الملازم له. ما تصبو إليه من مطامح
لا تريده إلاّ باستقامة. لا تريد أن تغشّ في اللعب
بيد أنّك تريد أن تكسب بالباطل.
يا غلامس العظيم ، تريد
ذلك الشيء الذي يصرخ بك، "أقدمْ إنْ كنتَ تريده"،
ذلك الشيء الذي تخاف أن تفعله
أكثر مما ترغب في فعله. أسرعْ إليّ،
حتى أصبّ روحيتي في أذنك
وأعاقب بجرأة كلماتي
كل ما يعيقكَ عن التاج
الذي يبدو أنّ القدر، وعون التنبؤات كليهما
قد توّجاك به".

يبدو أنّ وهْم نبوءات الساحرات، تجذّر الآن في ذهن مكبث، لدرجة أصبح حقيقة ملموسة، بدليل قوله :"وعلمت من أفضل المصادر، أنّهنّ يمتلكنَ من المعرفة، أكثر ممّا يعرف البشر". ما هي المصادر التي تزوّد منها مكبث بهذه المعرفة؟ أمْ أنّه، يا تُرى، أراد أن يقنع الليدي مكبث، وبذلك يُصيبها بعدوى الوهم، ليبرر أية فعلة يقوم بها ضدّ الملك في المستقبل؟ هل كان مكبث يفتّش عن شريك لاقتراف الجريمة؟
ذكر مكبث في الرسالة أعلاه أيضاً، لطمأنتها، أن رسولي الملك، حيياه بلقب أمير كودر. وأعاد النبوءة الثالثة : "ستكون ملكاً فيما بعد". وكأنّها من باب تحصيل الحاصل. ثُم خاطبها بعد ذلك مباشرة :"يا أعزّ شريكة لي في العظمة". ثمّة سرّ عميق في هذه الجملة. فكما تنبأت الساحرة الثالثة لمكبث بأنّه سيكون ملكاً فيما بعد، كذلك مكبث يأخذ الآن دور الساحرة بالنسبة لليدي مكبث فيتنبأ لها بأنها ستكون شريكة له في العظمة، أي أنّه إذا أصبح ملكاً فستصبح هي ملكة أيضاً. (للأسف فاتت الدلالة على جبرا إبراهيم جبرا فترجمها :"يا أعزّ رفيقة لي"، ولكن "رفيقة" لا توحي بأيّ منصب مستقبلي. وترجمها بدوي :"وشريكة مجدي" وهي جملة سردية خالية من الحلم والطموح اللذين أراد مكبث أن يؤججهما في زوجته).
نجح مكبث في دسيسته لزوجته. وكما انه ما من شيء سيقف في وجهه ليحقّق نبوءة الساحرة ويكون ملكاً، كذلك الليدي مكبث ستقوم بكل جريمةٍ من أجل أن تحقق نبوءة زوجها مكبث لها، وتتسنّم العرش.
ختم مكبث رسالته بالقول :"فكّري في الأمر سرّاً". هذه الجملة أبعد ما تكون عن البراءة. إذا كانت المسألة مجرد إبلاغها بالأخبار السعيدة، فلماذا طلب منها أن تفكّر في الأمر، ولماذا "سرّاً". هل كان مكبث في تلك اللحظات يبيّت شيئاً شرّيرا، ويريد يداً تعينه؟ وهل ثمّة أفضل من يد زوجته؟
يظنّ Clemensأنّ الليدي مكبث " بقراءة الرسالة بصوت عالٍ إنما كانت تقدّم نفسها بصورة غير مباشرة بمناجاة عن طريق كلمات شخص آخر" (ص١٤٣). ويذكر أيضاً "أنّ بانكو كان حاضراً أيضاً عند التقاء هاملت بالساحرات، وقد تلقّى نبوءة قد تحول دون تحقيق ما تنبأنّ به لمكبث" (ص١٤٣). لماذا كتم مكبث سرّ بانكو عن زوجته؟ هل كان خائفاً من أن تفتر عزيمتها؟
لم تفترْ عزيمتها لأن مكبث أحكم سايكولوجية إيصال مكيدته، لا سيّما وأنْ الليدي مكبث، كما يقول غاريث لويد Evans "ضئيلة بالنسبة إلى مكبث، وخاصّة حينما نقارن "خيالها" بخياله... إنها مخلوقة خالية من الحساسية والتعقيد الذهني الذي يدلّ إمّا على إرادة قوية، أو على خيالٍ حادّ". ويقول S.C.Sen Gupta ": ولأنّها معدومة الخيال، وغير قادرة على استبطان ذاتها وفحصها، فإنها تفهم نفسها حتى أقلّ مما تفهم زوجها" (ص ٦٦). أمّا في نصّ المناجاة فقد ابتدع شيكسبير فكرة ملائمة لتقديم شخصية مكبث، على لسان أقرب الناس إليه أي زوجته، وفي أخطر موقف، ليكون التباين بين جبلّته البريئة، وبين ما سيقدِم عليه من جريمة على أشدّه تأثيراً.
تقول الليدي مكبث :
"...إلاّ أنني أخشى من جبلّتك
إنها ممتلئة تماماً بحليب الطيبة الإنسانية
فلا تنتهز أقصر السبل..."
(يفسّر بعض شارحي شيكسبير :"اقصر السبل ب "بقتل الملك")
تنتهي المناجاة بهالة التاج الذهبية على رأس مكبث :
"وأعاقب بجرأة كلماتي
كلّ ما يعيقك عن التاج
الذي يبدو أنّ القدر وعون التنبؤات كليهما
قد توّجاك به".
على هذه الصورة، يدخل رسول على الليدي مكبث، فتسأله :"ما الأخبار التي جئتَ بها؟" فيخبرها بأن الملك سيأتي إلى هنا هذه الليلة. ثمّ يدور الحوار التالي بينهما :
- الليدي مكبث :أنت مجنون حتى تقول ذلك.
أليس سيّدك مكبث معه؟ لو كان الأمر كما تقول،
لأرسل لنا خبراً حتى نتهيّأ
- الرسول : لا. عفوك، ما قلتُه صحيح : أميرنا قادم،
أحد زملائي سبقه في الوصول،
شبْهَ ميّت لانقطاع نَفَسه
الذي لم يبقَ منه سوَى أنْ يبلّغ رسالته"
ثم يخرج الرسول، وتبدأ الليدي مكبث بإلقاء مناجاتها الثانية، وهي أشرس ما كُتبَ على لسان امرأة في الأدب، كما سنرى لاحقاً.
التوقيت العجيب الآخر في المقطع أعلاه، اعلان الرسول أن الملك قادم وعلى رأسه التاج طبعاً. ندرك على الفور كنظارة وقرّاء، مَن هو الذي يعيق مكبث عن التاج.
هكذا شدنا شيكسبير لانتظار ما سيحدث.

من أساطير عرب الأهوار .. زورق الازل

سلام عبود
ناقد

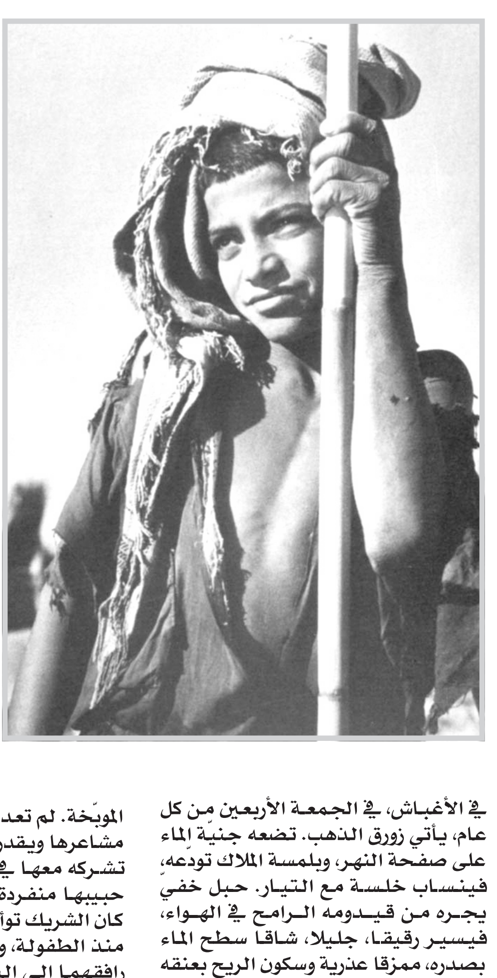

في الأغباش، في الجمعة الأربعين من كل عام، يأتي زورق الذهب. تضعه جنيّة الماء على صفحة النهر، وبلمسة الملاك تودعه، فينساب خلسة مع التيار. حبل خفيّ يجره من قيدومه الرامح في الهواء، فيسير رقيقا، جليلا، شاقا سطح الماء بصدره، ممزقا عذرية وسكون الريح بعنقه الطويل المعقوف، الشامخ مثل سيف.في الجمعة الأربعين يتململ الهور في سريره المائيّ. يفتح عينيه الناعستين، يبصر ظلمة الغبش ممزوجة بالتماعات ضوء واهنة، يرسلها فجر يختبئ خلف ستر الليل. فجأة، يتوقف الهواء عن التنفس، تحبس الحشائش نسغها، تسكن الطير، تكتم الحشرات أصواتها، وآخر الومضات المضيئة، التي تذدرزها نجمة الصبح الآفلة، تضرب خيلاء القيدوم الذهبي المتعالي، فترتد منعكسة، رامحة في وجه الكون مثل وهج البروق. إنه زورق الأزل، زورق الذهب!من أين يأتي والى أين يسير؟لا أحد يجهل من أين يأتي زورق الأزل الذهبي والى أين يذهب. فهو يأتي من إيشان) #وشن) "\أبو الذهب"\ المتواري خلف عتمة المجهول، ذاهبا نحو إيشان "\أم الهند"\، حيث تنفتح في أخاديد السكون، بين غابات القصب والبردي، ممرات العدم السرية، التي تأخذ البشر الى أبد لا عودة منه.لا أحد يجهل من أين يأتي والى أين يذهب زورق الأزل.ولا أحد يجهل موعد أوبته كل عام. في الجمعة الأربعين من كل عام تنتظره حُسن بلهفة الصبايا العاشقات. تتبرق حُسن: تلبس ثوب عرسها، تحنّي كفيها وقدميها، تضع الكحل بين رموشها الخنجريّة، وتصبغ شفتيها بحمرة الدارم. تنظر الى وجهها الفتي، العاشق، في مشوفتها السحرية فلا ترى صورتها، بل تبصر في استدارة وجهها رجولته الآسرة، وتقرأ في شوق عينيها نداء عينيه، وتسمع في ضجيج أعماقها وجيب قلبه الأبيض، وتلمس في ليل شعرها ضرام روحه. تتمرى فترى عريسها ماهود يمد يده ويزيح زئبق المرآة، يشق البلور ويخرج اليها واعدا، واهبا، فتيا، مفعما بالحياة، كما اعتادت أن تراه.- جاء!- من؟- زورق الأزل!يهتف بها صوت الماء في العتمة، حيث ترقد في كوخ القصب.- انصتي الى حفيف عريه!يقول الماء بصوته الخريري المبحوح، فتنهض حُسن مسحورة. تترك فراشها وتسير في عتمة بيت القصب مثل نائمة. تخرج من كوخ القصب فيواجهها "\أبو الليل"\، كما اعتاد أن يفعل في الجمعة الأربعين من كل عام. ينظر اليها بحنان وشقاوة وخجل، ثم يضع ذيله بين قوائمه الأربع ويدير وجهه صوب النهر، متصنعا دور الغافل، المشغول بمراقبة سكون الخليقة.تنظر حُسن اليه فتقول له عيناها، إنها تعرف مكره، وتعذره لأنها تعرف مقدار غيرته. ومن لا يغار من حبيبي، ماهود!يواصل "\أبو الليل "\تصنّع دور الغافل وهو رابض، غير عابئ بنظراتها الساخرة، الشامتة، الموبّخة. لم تعد غيرتها تغيظه. هو يعرف مشاعرها ويقدرها تماما، فهي لا تريد أن تشركه معها في لقائها. تريد أن تلتقي حبيبها منفردة، من دون رقيب، حتى لو كان الشريك توأم روحيهما، الذي لازمهما منذ الطفولة، وكبر معهما خطوة خطوة، رافقهما الى النهر والى حقول الرز مذ كان جروا، لعب معهما، طارد الحذَف والفواخت التي كانت تسرق أسرار نشأتهما، أخاف الجواميس والخنازير البريّة، قاتل الخوف من أجلهما، وسهر الليالي يحرس بيوت القصب ويحميها، لكي تدوم.حينما يراها تشق جدار العتمة، ينهض. يتظاهر بأنه تعب من وضع الرقود، يتمطّى في سكون الغبش، ثم يسير على مهل متتبعا قوامها الغامض، المنجذب أبدا صوب الماء، صوب حبيبها المتواري في ذرات الغبش.- يا زيز، يا زيز! لمن حُسن، يا زيز الحقول ؟- ...- لمن ماهود، يا نسمة الغبش الأخيرة؟- ...لا ينفك "\أبو الليل "\يلقي لغزه الأبدي على كل ما يراه: الحشائش والهوام والطيور والمياه والهواء والضياء، حتى النجوم اللابدة في خيمة السماء، يرفع رأسه نحوها هامسا:- لمن حُسن، ولمن ماهود يا بنات الضوء الخفرات؟تلمس حُسن نسيج العودة الخضراء المخبأة بين نهديها. تأخذها ذبذبات الرقية المشحونة بسحر الكواكب، وتأسر روحها نبضات الرمل النبوي الكهربية، فتنفجر في كيانها شرر صاعقة. وفي لمح البصر تتوهج في أعماقها مصابيح القاسم. تسير حسن مأخوذة، مثل هودج من مرايا وقناديل، وطهارة الإمام القتيل - ثوب عرسه أصبح كفنه- توقد في فؤادها ملايين الشموس الباهرة.ترفع طرف ثوبها وتغمس قدميها العاريتين في الماء. ترجفها لثمة الماء، حينما يطبع النهر شفتيه الباردتين على القدمين المخضبتين بالحناء، المغموستين في مرآة الزمان، السائرتين في لجّة الغبش الزئبقي، صوب قدر لا يردّ." حُسن لماهود، وماهود لحُسن!"\تقول القبّرات. لم يقل أحد من البشر ذلك. لكنه مكتوب في لوح الأزل. أصابع سحرية خطته وطرزته على وجه الهور، فأضحى ناموسا لا يُمحى. حُسن لماهود، وماهود لحُسن.حُسن وماهود يعرفان ذلك أكثر من أي شخص آخر. لكنهما ما فكّرا في ذلك قط. فهما معا يحفظان سر الماء المنقوش على نوافذ روحيهما، ويفكان طلاسم الدهر الكتوم.هنا، على هذه الأرض الداكنة الطيبة، ولدا. هنا ترعرعا. هنا رأت حُسن ابن عمها ماهود ينمو ويكبر ويكبر ويكبر، حتى اللحظة التي أبصرت فيها وردتين تتفتحان على صدرها. غطت صدرها بخجل، وهي تراقب بشجن، أسراب طائر الخضيري، تتجه محلّقة صوب السماوات البعيدة.- زورق عرسك مربوط عند جرفنا. ستزفين به حينما ترحل آخر الطيور. ستذهبين الى عريسك حينما تذهب الطيور الى أعشاشها البعيدة.من عريسها؟ لم يقل لها أحد. ولماذا يفعلون ذلك، وكل ذلك مكتوب منذ الأزل في لوح الأبد. القمر الإله يعرف ذلك. كوخ القصب يعرف ذلك. زرازير البراري تعرف ذلك. قارب القار، بقيدومه الذي يشبه السيف، يعرف ذلك. نجمة الصبح، التي تحرس الأعالي، وترسل نغماتها الكوكبيّة لتلون غابات القصب والبرديّ بالأسرار، تعرف ذلك. إنه مكتوب في دفتر الأيّام. ذلك قدر سماويّ، تتبسمل به الأسماك والطيور والحشائش والأمواه والرياح. أليست هي موقده الدائم الاشتعال في الليالي الباردة؟ أليس هو مرودها الذي تكتحل به عيناها؟ هي له، وهو لها. هو عيناها، وهي جناحاه.تمتحن حُسن حسنها. تجرب ثوب عرسها الملوّن، المطرز بمئات الزهور البريّة، الذي اعتزمت أن ترتديه مساء، حينما تقام حفلة عرسها. لم تقف حُسن أمام قنديل، ولم تنظر في المرايا لترى نفسها. كانت صورتها الآسرة تبرق وامضة في عيون الصبايا، اللواتي أحطن بها.يا كوخ القصب، يا كوخ! ما الأبهى، حمرة وجنتيّ أم بريق زورق الذهب؟يا كوخ القصب، يا كوخ! هل رأيت فتى أجمل من حبيبي؟يا كوخ القصب، يا كوخ! هل رأيت عروسا أكثر فرحا مني؟اليوم يأتي حبيبي. يربط قاربه السومري عند جرفي. يا كوخ القصب! أنت ونجمة الصبح شاهداي. ستطرّزان العهد الذي قطعه لي حبيبي. ستنقشان اسميكما على لوح اللازورد الأبدي. وعدني حبيبي أن يقيم الأفراح في كل يوم، يرقص ويلعب مساء نهار، يجعل ثيابه نظيفة زاهية، يُدلل الصغير الذي يمسك بيده، يُفرح الزوجة التي بين أحضانه. أليس هذا هو نصيبنا المكتوب، يا كوخ القصب؟يا كوخ القصب! قل لحبيبي إني بانتظار وصول زورقه السومري. دلّه على الطريق الموصلة الى غدراني، يا كوخ القصب! قدماي المخضبّتان بالحناء بانتظاره، ويداي المخضلّتان بالجوري بانتظاره، وضفائري المدهونة بالطيب بانتظاره، ونهداي المشتعلان بنيران الهيام بانتظاره. يا كوخ القصب، يا كوخ! قُد حبيبي اليّ، وأجعل نجمة الصبح تبطئ في الرحيل هذا الغبش. لا تدعها تذهب باكرا الى بيت السماء. فما من ليل يكفي لإطفاء هذا الضراملم تأت نجمة الصبح هذا الصباح، ولم يطلع فجر. لم تتضمخ أقدام بالحناء، ولم تتخضل أياد بماء الورد، ولم تتلون شفاه بنَور الشقّار.لم يلعب أحد، ولم يرقص. ولم يصل قارب السومريين الى شاطئ.كان الهواء ملطخا بزفرات العالم السفلي. كان الرجال العقارب يدقّون طبول الحرب ويفتتون البهجة بفؤوس العويل، والفتية الحالمون يساقون جماعات جماعات الى تلال النار والبارود. أنين وبكاء تحمله الرياح الى الجهات الأربع. نجوم تبكي وظلال معتمة تنوح. يا كوخ القصب! رأيته، رأيته بأمّ عيني. كان ماهود، حبيبي، قادما نحوي. أوشك أن يفتح باب قلبي المزروع وسط سرير من ورق الآس. كان قريبا مني قرب العين من جفنها حينما اقتاده حرّاس الموت. الى الأنهر الغائرة في دهاليزالأرض ساقوه. يا كوخ القصب! أخذوا حبيبي صوب إيشان الظلمات، حيث لا يعود الذاهب اليه أبدا.لم يقم أحد عرسا، ولم يولم وليمة، ولم ينتظر مولودا ذكرا، ولم يلبس ملابس نظيفة زاهية. وفي منابت النخيل، التي ملأتها الريح بالأنين، ما انفك طائر الشقّراق يبكي جناحه المكسور.بالله عليك يا زورق الذهب، ألا أخذتني الى حبيبي! في الجمعة الأربعين ليل يعوي، وكواكب مرتجفة من شدّة الخرس، توشك أن تهوي.- قم يا زوجي الحبيب! ابنتنا الوحيدة ليست في فراشها! اختفت نجمة الصبح ولم تعد حُسن بعد!- لا تقلقي يا أم حُسن! ستعود، ستفعل ما اعتادت أن تفعله منذ الأزل. أليس اليوم يوم الجمعة الأربعين! ستعود. لا تقلقي! ستغمس قدميها المخضبتين بالحناء في مياه النهر، ستخاطب زورق الذهب، ستناجي كوخ القصب، ثم تعود لتنام بانتظار الغبش القادم. - الغبش يكاد أن يزول.- لا تخافي! ستعود. هي في أيد أمينة. يحرسها قمر الليل الذي في السماء، وتحرسها عيون "\أبو الليل "\على الأرض. هي برفقتهما. هما يرقبانها عن بعد، ويحرسان خطواتها، كما تحرس الملائكة روح الله. فلا تقلقي!- القمر! لم يعد في هذه السماء الكالحة قمر. و"\أبو الليل !"\ألا تسمع عواءه؟ ألا تسمع كيف خرق عهد اللحظة المهيبة الصامتة، ومزّق ناموس السكينة بعوائه؟ ألا تسمع نحيبه، الذي يقطع نياط القلب، يتطاير في الريح مثل نبال مسمومة؟خرج العجوزان من كوخ القصب خائفين وجلين. وبعيون كليلة رأيا ما يراه الميسانيّون في الجمعة الأربعين من كل عام.الغبش لم يزل يجرجر آخر خيوط عباءته المعتمة. نجمة الصبح لم تزل ترسل ضوءا كئيبا، كابيا. والصمت المقدّس، الذي اعتادت أن تحرس خرسه كائنات الهور الأليفة ممزق الأوصال، يتبعثر متناثرا في الفضاء مثل مزق من الزجاج الجارح. "\أبو الليل"\ يقف منتصبا على الجرف الطيني، يرفع خطمه الى السماء ويعوي مثل إله جريح، والمياه تحمل في جريانها البطيء ثوب العرس الملوّن، طافيا مثل كفنٍ من الزهور، يجره بحبل سماوي خفيّ، زورقُ الأزل الذهبي، ميمما به صوب المكان الذي لا يعود منه البشر أبدا. يا كوخ القصب! هل حفظنا عهدا قطعناه على أنفسنا، يا كوخ القصب؟ حُسن لماهود ومُاهود لحُسن، يا كوخ القصب!ماهود وحُسن ذهبا الى الأنهر البعيدة. ذهبا الى الأنهر المتوارية خلف الزمان ولن يعودا إلا بعد عام. في الجمعة الأربعين سيعودان مثل باقة كبِيرة من شقائق النعمان. قبران من الشقّار الأحمر تائهان، هائمان على وجه الماء، مثل هودج من مرايا وقناديل، يبحثانِ عن أهل أطفأ النواح أعينهم. حبل سرّيّ من الأنين يربطهما بزورق الذهب السومري، السائر أبدا نحو الأزل. يا كوخ القصب! أما عاد زورق الذهب؟ أما عاد حبيبي؟
إيشان كلمة عامية يستخدمها سكان الأهوار للدلالة على الأرض المرتفعة، الأثرية، المليئة بالأسرار. والكلمة من بقايا الفصحى، وربما يكون أصلها مأخوذا من كلمة الوشن، أي ما ارتفع من الأرض.

متابعة

قصائد السياب تتحول الى لوحات تشكيلية

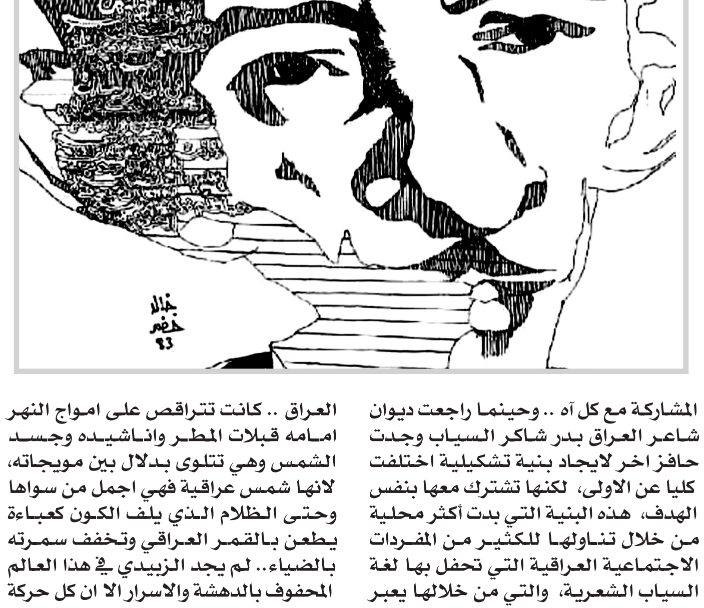

اقبال محمد
بابل

هذا المعرض هو التجربة الثانية للفنان اياد الزبيدي في عملية تحويل الصورة الشعرية الى لوحات تشكيلية بعد التجربة الاولى في قراءة تشكيلية لعبدائيل موفق محمد، ان عملية التحويل من الشعر الى الرسم هي عملية نقل او تجسيد لما هو ذهني وتحويله الى صورة مرئية تعتمد أساساً على استعارة مخيلة الشاعر بصورة عامة للمحتوى او المضمون او القصيدة، وتحدث الفنان أياد الزبيدي عن معرضه الذي أقامه بالتعاون مع البيت الثقافي في بابل تحت عنوان (قراءة تشكيلية لشعر السياب) قائلا:
كل من يظن ان الفن لهو وترف، الفن حياة اخرى نلجأ اليها لنصرخ بداخلها ومن خلالها عندما تحاصرنا كل ضغوط الحياة التي وجدنا فيها دون ارادتنا، الفن هو الملجأ الوحيد الذي يحتمل ويسمع كل صراخنا وجنوننا ليعطينا جرعة امل كي نعيش، لانه لغة الانسانية الوحيدة التي تخاطب الوجدان بالعقل او بدونه لينتج منجز صادق يجتمع على فهمه الجميع، هو لغة الحوار التي تلفت حولها النفوس المتاعة بلغة الوحوش، وحين يشهد الغضب معه عقول الابداع مسرح وموسيقى، ادب وكل الفنون لتسجيل موقفها التاريخي في مرحلة زمنية محددة، وفي ترجمتي الاولى لعبدئيل للمبدع موفق محمد وجدت اصوات الاف الناس تصرخ لاجل العراق فحاولت جاهدا تطويع المنظومة التشكيلية لتحويل الصورة الذهنية الى صور تشكيلية مرئية بعملية تأويلية احتملت الرمز والاشارة عبر الاستفادة من مضمون القصيدة كل او جزء وتحويلها الى اشكال معبرة ترتبط فيما بينها بعلاقات تنتج كل جمالي يهدف المشاركة مع كل آه .. وحينما راجعت ديوان شاعر العراق بدر شاكر السياب وجدت حافز اخر لايجاد بنية تشكيلية اختلفت كليا عن الاولى، لكنها تشترك معها بنفس الهدف، هذه البنية التي بدت أكثر محلية من خلال تناولها للكثير من المفردات الاجتماعية العراقية التي تحفل بها لغة السياب الشعرية، والتي من خلالها يعبر عن التصاقة خاصة وكل عراقي عامة بارضه ونخله ومياهه، فراح يرسم بكلماته صورا تشير الى عظمة العراق رغم ما لاقاه من معاناة مرض وابعاد ذهبت بحياته لكن صوته بقى خالدا يهتف للعراق وما احوجنا الان لان نضم ايدينا ونحتضن كل العراق، هذه الترجمة امام انظاركم عسى ان اكون قد حققت من خلالها شيئا،والى ترجمة أخرى لمبدع آخر بعون الله .
وقال القاص والكاتب سلام حربة : كيف تقرأ عينا التشكيلي السياب وشعره؟ هل تلتقط هاتان العينان الدر والكنوز المخبوءة في قاع بحر شعر السياب ما تعجز عنه شباك الصيادين؟ انها مغامرة أبحر فيها، وبعناد الفنان التشكيلي اياد الزبيدي، وكل عدته زورق كالذي ابحر فيه كلكامش، وفرشاة وهو يبحث عن عشبه خلود السياب وشعره لقد ابحر الزبيدي في بويب وتراءى له في كل ضربة مجداف واني ادار وجه العراق .. كانت تتراقص على امواج النهر امامه قبلات المطر واناشيده وجسد الشمس وهي تتلوى بدلال بين مويجاته، لانها شمس عراقية فهي اجمل من سواها وحتى الظلام الذي يلف الكون كعباءة يطعن بالقمر العراقي وتخفف سمرته بالضياء.. لم يجد الزبيدي في هذا العالم المحفوف بالدهشة والاسرار الا ان كل حركة يد كان ينثر التعاويذ والطلاسم والاساطير والاحزان ودورة الاسطوانة التي تسمع العراق، اليست تلك مجرات السياب في منافيه البعيدة؟ كم استدان الزبيدي من الصبر والقوة في رحلته وهو يجدف بالنخلة العراقية ويرفع على رأسه شناشيل ابنة الجلبي حتى يتعرف عليه الاقنان والمومسات وبنات الجان وحارسو مدينة السندباد والاشقياء وهم يصرخون، اعصر فاننا مظلمون ... والموت المزروع في الدرب وشهيق المصدورين .. ان رحلة اياد الزبيدي محفوفة بالمخاطر وغائمة المصير ولكنه لن يعود خالي اليدين لقد عاد السياب من رحلته مدمى الصدر وما لديه سوى الدموع، سوى انتظار، دون جدوى، للرياح والقلوع، فهل ستكون تلك عودة الزبيدي؟ لااعتقد.. لانه سيجد في السياب العراق وهذا من اثمن الكنوز منذ بدء الخليقة وحتى الآن .

اصدارات جديدة

مجلة المأمون

صدر عن دار المأمون للترجمة والنشر العدد الجديد من مجلة (المأمون) الفصلية –الثاني لعام ٢٠٠٧ – واحتوى العدد على مجموعة من الابواب منها :سياسة وفكر – دراسات –أفاق ثقافية – طب وعلوم –تكنولوجيا –في رحاب التاريخ – فضاءات –وغيرها . تصدرت العدد افتتاحية رئيس التحرير فاروق الدليمي (نقديمدنا بالعطاء) دعا فيها الى ممارسة النقد باعتباره تقويما للعمل وتتويجا له ، وكان من موضوعات العدد:أعادة اختراع الامم المتحدة بترجمة عبد علي سلمان –التعايش اللغوي في النروج ترجمة هدى بدر توفيق –شكسبير حقيقة ام خيال ترجمةعدنان مطلك-البخلاءللجاحظ من منظور سردي دراسة باسم عبد الحميد حمودي –جوليا كريستيفا ترجمة د. سندس فوزي فرمان –الفن طريق السلام ترجمة محمد علي رشيد –الطواحين الهوائية ترجمة علاء ناصر . وكان باب (كتاب العدد) خاصا بعرض كتاب (أباطيل واسمار) لمحمود محمد شاكر قام بعرضه هادي طعمة ؛ـ اضافة الى موضوعات اخرى آخرها باب (مساحة حرة) الذي كتبت فيه مها محمد عن (المراة العراقية المثقفة).

المأمون
مجلة فصلية للدراسات
تصدر عن دار المأمون للترجمة والنشر
وزارة الثقافة - العراق
التدريب على الترجمة الفورية
النص في كتاب البخلاء للجاحظ
شكسبير
حقيقة ام خيال؟
أباطيل و أسمار
المرأة العراقية المثقفة
التألق و التحدي الايجابي

قطوف حلية

تأليف / خليل ابراهيم النوري

عن دار الضياء للطبع في النجف صدر حديثاً للباحث خليل النوري كتاب جديد عن مدينة الحلة الفيحاء : تاريخها وبعض لمحات من تراثها الشعبي ومعمارها وشخصياتها الثقافية مع ملاحظات حول بعض الكتب التي صدرت عنها اضافة الى صفحات منسية عن صحافة المدينة وملحق مفيد بالصور والوثائق . ويعد (قطوف حلية) من الكتب المفيدة في مجاله .